الطريقة التجانية : النشأة و التطور

د. زيزاح سعيدة
جامعة الأغواط

الملخص:

اتسم العهد العثماني في الجزائر بإنتشار الطرق الصوفية ومن هذا المقال و الذي تناولنا فيه الطريقة الصوفية الأكثر انتشارا بالجزائر ألا و هي الطريقة التجانية عرضنا حياة مؤسسها الشيخ سيدي أحمد التجاني ثم عرجنا الى التعريف برحلاته و أوجه التشابه و اختلاف الطريقة التجانية و بقية الطرق الأخرى ، إنتشارها و إمتدادها مبادئها ، ووظائفها التربوية و الاجتماعية علاقتها بالطرق الصوفية الأخرى .

Resume:

cet article va résoudre un sujet important il s'agit des confréries religieuses en Algérie ce phénomène social et religieux apparu dans l'époque ottomane (turque) , dans notre article on va se basé sur la tariqua tijaniya , cette tariqua très connue en Algérie , on va entamer les points suivants ،la vie de son fondateur cheikh sidi Ahmed tidjani , ses fonctions et ses rôles envers l'individu et le société .ses relations avec les autres confréries .

تمهيد:

لكل طريقة صوفية مؤسسا أو شيخا تنسب له , فبعض الشخصيات الصوفية التي ظهرت عبر التاريخ الإسلامي لم تكن لها طرقا صوفية , والبعض الآخر عملوا على تأسيس طرقا عرفتها المجتمعات الإسلامية, كما هو الحال بالنسبة للطريقة التجانية , التي ظهرت على يد مؤسسها الشيخ أحمد التجاني , لتعتبر طريقة دينية لها منهج في التربية الروحية للأفراد, فبعد ترحاله من الجزائر إلى المغرب ثم تونس ثم مصر ثم الحجاز باحثا عن أهل التصوف و مشائخ الطرق الصوفية المعروفين و بدأ يفكر في تأسيس طريقة صوفية تسلك منهاج الشريعة و السنة النبوية لكل الأفراد الذين يبحثون عن الدين الإسلامي.

وهذا المقال هو بمثابة الإطار التاريخي العام لمؤسس هذه الطريقة حياته, مسقط رأسه, والظروف الاجتماعية والسياسية التي عاش فيها والتي دفعته لتأسيس هذه الطريقة، ووقوفه في وجه الحكم العثماني,ومعرفة ظروف هجرته للمغرب الأقصى ومكوثه بمدينة فاس,ونتعرف على أهم الشخصيات

الصوفية التي إلتقى بها في رحلاته , ليصل في الأخير إلى تأسيس طريقة صوفية جديدة وتحمل إسمه و تنسب إليه من بعده.

1- مؤسس الطريقة التجانية:

أ-حياته :

هو أبو العباس الشيخ أحمد التجاني ولد سنة 1737 م /1150 هـ :إبن مَحمد ابن المختار الشريف الحسني يتصل نسبه بالسيد الحسين ابن الإمام علي (رضي الله عنه)، وإبن السيدة فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) [1].

أما أمه فهي عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التجاني الماضاوي اللذان توفيا في سنة 1166 هـ بمرض الطاعون ودفنا بعين ماضي[2].

جاء جده الرابع محمد بن سالم إلى عين ماضي، قادما إليها من الساقية الحمراء، إشتهر بالعلم والصلاح، تزوج محمد بن السنوسي من قبيلة بني توجين التي نزلت بعين ماضي في وقت سابق، أما جده الثالث سمى أحمد التجاني باسمه، فقد اشتهر بتدريس العلم وقد عرف والد أحمد التجاني هو الآخر بالعلم والورع والعبادة، فكان مدرسا للحديث والتفسير في عين ماضي، ليصبح أحمد التجاني يشتغل في طلب العلم في الجزائر، فقد حفظ القرآن الكريم في صباه وتتلمذ على مشايخ مبرزين في العلم والتربية، وما إن حصل على مبتغاه من العلم النافع ذهب الى الأبيض سيدي الشيخ فدرس به مدة خمس سنوات، ثم انتقل إلى تلمسان، فشرع في تدريس القرآن والحديث النبوي في المسجد الكبير لمدة من الزمن ثم في سنة 1186هـ /1772م، ذهب الشيخ أحمد التجاني إلى الحج والاعتمار والزيارة النبوية و عند رجوعه مر على تونس، فأقام بها مدة للإفادة والاستفادة عام 1187هـ/1773م، وبقي يجول بقصد الزيارة والبحث عن أهل الخير، وأول من لقي حينئذ من المشايخ "الطيب الوزاني" بوزان وأخذ عنه وأذن له بتلقين الأوراد ولقي أيضا " أحمد الصقلي" . إلا أنه لم يأخذ عنه شيئا بل لم يكلمه بشيء، ولقي" محمد بن الحسن الوانجلي" من بني وانجل من جبال الزبيب بمحله، ولم يأخذ عنه، ولقي بفاس العربي "ابن عبد الله " معنى الأندلسيين"، ودعى له بالخير، وأخذ الطريقة القادرية على يد من كان يلقنها في ذلك الوقت، ثم تركها بعد حين، ثم أخذ الطريقة الناصرية عن الولي الصالح "محمد بن عبد الله التزاني" الشهير بالريف، ثم تركها، ثم أخذ طريق "أحمد الحبيب السلجماني الصديقي"، عن بعض من له الأذن فيها، ثم أخذ عن "أبي العباس أحمد الطواش" نزيل ودفين تازة، ثم انتقل من المغرب قاصد الأبيض بالصحراء[3] وزار خلالها بلده عين ماضي دار آبائه، ثم إرتحل منها إلى تلمسان، وأقام بها مدة يدرس فيها التفسير والحديث وغيرها، ويعبد الله. لكن تلمسان في القرن الثاني عشر لم تعد تلمسان القديمة، فالعثمانيون كانوا يسيطرون عليها، وأحوالها العلمية والدينية لم تعد ترضي الطموحين أمثال أحمد التجاني، لذلك ثاقت نفسه إلى الحج فمر بزواوة حيث أخذ الطريقة الخلواتية على "محمد بن عبد الرحمان الازهري"، وتوقف في تونس وبمصر وأخذ عن بعض صلحائهما. وبعد حوالي سنتين في المشرق عاد التجاني إلى تلمسان التي كان يتردد بينها وبين

فاس، ثم انعزل عن المدن تماما حين ذهب إلى توات وأبي سمغون، وفي الأخير استقر نهائيا بعد قلق وتجوال ولكن بايات وهران لاحقوه ونغصوا عليه حياته هناك أيضا فإتجه إلى فاس سنة 1211هـ، بأولاده وأهله وتلاميذه، وقد رحب به السلطان سليمان وأحضره مجلسه وأعطاه دارا كبيرة وراتبا. وقد اشتكى التجاني إليه "من جور الترك وظلمهم" وظل بفاس إلى أن أدركته الوفاة صبيحة يوم الخميس السابع من شوال عام 1230هـ -1815م[4]. عن عمر يناهز 80 سنة .

و ترك رسائل هامة في مختلف المواضيع وشرحا لقصيدة همزية الامام البوصيري ومؤلفين هامين هما : "جواهر المعاني" الذي كتبه تلميذه الحاج علي حرا زم من إملاء الشيخ، وثانيهما "الجامع" وقد كتبه تلميذه أيضا محمد بن المشري الجزائري، والكتابان مصدران للطريقة التجانية، وفي هذان الكتابان تفسير، للقرآن الكريم، ذات الدلالات البعيدة و شرحه للأحاديث النبوية الشريفة ذات المغزى البعيد.

وأوصى أحمد التجاني قبل وفاته بنقل ولديه أحمد الكبير، ومحمد الحبيب من فاس بالمغرب إلى عين ماضي بالجنوب الجزائري، ليواصلا مسيرة أبيهم النبيلة في التعليم والتربية، وإفادة المجتمع بوطنهم الأم، وقد نفذت وصيته وانتقل ولداه إلى عين ماضي بمساعدة خليفة أبيهما الحاج علي تماسيني واستقر هناك.

ب. نشأته وتعلمه :

نشأ وترعرع في مسقط رأسه وسط عائلته المشبعة بالعلم ,ولما بلغ سن الخامسة دخل الكتاب فحفظ القرآن الكريم , وعمره سبعة سنوات ,إهتم به أبوه منذ صغره وحرص على تعليمه أمور الدين فتلقى علوم الحديث على يدي محمد بن حمو التجاني المتوفى عام 1162هـ - 1749م وأما علوم الشرع الأخرى فقد تتلمذ على يد الشيخ مبروك بن بوعافية التجاني وعلى يد الشيخ عيسى أبي عكاز الماضاوي التجاني حتى أصبح كما قيل يتوفر على خصائص القاضي والمفتي.

ولما بلغ سن الخامسة عشرة ,زوجه أبوه فبقية في حجر والديه إلى أن توفيا بمرض الطاعون في يوم واحد سنة 1166هـ-1753م. و قبرا في عين ماضي[5] ، وعُمر أحمد التجاني لم يكن يتجاوز آنذاك 16 سنة وما من شك فإنه تأثر بهذه الكارثة في أعماق نفسه ,فعلى إثر وفاة والده طلق زوجته ليتفرغ إلى طلب العلم فانكب على دراسة العلوم الأصلية والفرعية والأدبية حتى أصبح أهلا للتدريس فيها وكان يقول: " ....ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها ..." مما يبين جانب من جوانب الصراع الذي كان قائما بين الفقهاء والمتصوفة وما قول أحمد التجاني إلا دليل على ما كان يجري في ذلك الوقت وما سمعه شيوخه.

ذلك يبين لنا بداية تأثر أحمد التجاني ,لاسيما وكانت ترد عليه أسئلة الإستفتاء من غرب الجزائر ومن الصحراء وقد جمع تلميذه علي حرازم بعضا من فتاويه الفقهية وبعض المسائل العلمية في الجزء الثاني من كتابه "جواهر المعاني" وعلى الرغم من أن أحمد التجاني كان مالكي المذهب، على غرار بقية سكان المغرب العربي. فإن بعض اجتهاداته وترجيحاته لبعض الأقوال، رأى فيها غيره أنها تخرج عن

إطار المذهب المالكي، فمن آرائه مثلا أن الإتيان بالبسملة قبل فاتحة الكتاب في الصلاة، أولى من تركها وفي هذا ترجيح للمذهب الشافعي عن المالكي[6].

ومع ترحاله إلى المغرب الأقصى وبالضبط إلى فاس سنة 1171هـ، تمكن من العلوم الشريعة، وتأثر بكتب التصوف وتراجم رجاله حيث قرأ الكثير من خلال الكتب التي كانت في حوزة سكان بلدة عين ماضي، ونواحيها، أصبح يميل ويتوق إلى بلوغ مرتبة من التصوف، فلما بلغ سن 21 انتقل إلى فاس التي كانت تعد حاضرة من حواضر الأقصى برجالات التصوف الطرقي، وبحثا عن الشيخ المربي والطبيب المشفي، فاقترب من العلماء والصلحاء وقام بالتدريس فكان يرتاد حلقات الأساتذة في القرويين ومساجد فاس وزواياها، كما إطلع على الكثير من كتب التصوف، فمن الكتب التي تأثر بها نذكر على سبيل المثال لا الحصر، كتب "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم " و "عنقاء المغرب" لإبن عربي وكذا كتب عبد الكريم الجبلي منها "الإنسان الكامل".

كما تأثر أيضا فيما يخص المقالات والأحوال والأخلاق والقواعد الصوفية بتآليف السراج الطوسي، وعبد الرحمان السلمي، والقشيري والغزالي، وكتاب "عوارف المعارف" السهروردي، فكثيرا ما كان الشيخ أحمد التجاني يستشهد بأقوال و شروحات هؤلاء المشايخ.

جـ. وفاته :

في صبيحة يوم الخميس السابع من شوال عام 1230هـ-1815م انتقل احمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية إلى الرفيق الأعلى، ودفن بزاوية كبرى بفاس، وحضر جنازته ما لا يكاد يحصى من علماء فاس و صلحائها و فضلائها و أعيانها و أمرائها، و لو لم يكن صاحبه أمير سليمان بالحضرة المراكشية لحضر بنفسه جنازته مع من حضر و صلى عليه الإمام العلامة المفتي بفاس أبو عبد الله بن إبراهيم الدكالي[15].

د- آثاره :

ترك رسائل هامة في مختلف المواضيع، و شرحا لقصيدة همزية الامام البوصيري، و مؤلفين هامين هما : جواهر المعاني الذي كتبه تلميذه الحاج علي حرازم من إملاء الشيخ احمد التجاني، و ثانيهما الجامع و قد كتبه ايضا محمد بن المشري الجزائري، و الكتابان مصدران للطريقة التجانية، وفيهما تظهر -بوضوح- وفرة العلم الذي أكرم الله به هذا الشيخ ، في تفسيره للآيات القرآنية ذات الدلالات البعيدة، وشرحه لأحاديث نبوية ذات المغزى البعيد، وتحليله، و فتاويه التي توقف عندها العلماء و قد حررها بفكره.

2- إختلاف الطريقة التجانية عن بقية الطرق الصوفية :

إن الطريقة التجانية هي كبقية الطرق الصوفية التي ظهرت من قبل جاءت من أجل الدلالة على الله وتزكية النفس وتعمل على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، والرفق بالضعيف، وكلهم من

الرسول صلى الله عليه وسلم ملتمسون لكن يظهر إختلاف في اختصار العبادات وضبط النفس ، وتختلف الطريقة التجانية عن بقية الطرق في النقاط التالية :

- الاجتماع للوظيفة إن كان معه إخوان في الطريقة و دوام محبة الشيخ دون إنقطاع.
- تقوم على الذكر كل يوم(الأذكار اليومية) ونوعية الأذكار مستمدة من القرآن الكريم.
- تقوم الطريقة التجانية على الذكر وارتقاء النفس . فالطريقة التجانية لا يؤذن في وردها (أو طريقة الذكر) اللازم على وجه التبرك وإنما يؤذن فيها على وجه الإلتزام وأن التربية فيها للمريد بملازمة الأوراد اللازمة بشروطها المقررة وأركانها المعتبرة[16].

*فهذه الطريقة ليست فيها إذن على وجه التبرك وإنما هي طريقة سلوك وتربية بالهمة والحال ووردها الخاص بها كفيل بالترقية[17].

وبهذا نلخص أوجه التشابه والاختلاف بين الطريقة التجانية وبقية الطرق الصوفية الأخرى.

*** أوجه التشابه و الاختلاف:**

- كل الطرق على هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم مع اختلاف الأساليب إذ قال الإمام البصيري في هذا المعنى : وكلهم من رسول الله .
- كل منها يعمل على ترويض النفس على الطاعة و إجتناب المعاصي والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والعمل من أجل الآخرة."وللآخرة خير لك من الأولى" كل هذه الطرق الصوفية جاءت لنشر الاسلام.
- ربح الوقت بما يفيد و الابتعاد عن ما بما يلهي ويشغل بلا فائدة (حسب ما صرح به أحد أحفاد مؤسس الطريقة التجانية ومريدها).
- محبة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) أو الشوق إلى لقائه بمداومة الذكر والصلاة وأعمال الخير، والطريقة التجانية كبقية الطرق الصوفية واصلت رسالتها الدينية [18].

*هناك أوجه إختلاف تمثلت في :

- الانفراد في هذه الطريقة معناه الأخذ بتعاليمها وأورادها دون طريقة أخرى.
- لا يسمح لمن يرغب فيها إلا برضى الوالدين، للناس القصر في السن.
- الوظيفة في الجماعة جهرا مرة في اليوم. سهولة الأذكار وبساطتها.
- لا خوف على من انسلخ عن طريقة و أن يدخل فيها، وليس العكس.
- تشبه آدابها آداب الصلاة، لا يسمح للكلام إلا لضرورة، ولا الأكل ولا شرب ولا الفعل .

3- انتشار الطريقة التجانية :

إن الطريقة التجانية منذ ظهورها استمرت في الانتشار بالجزائر لتنتشر بإفريقيا السمراء.وسر انتشارها هو أن أذكارها لله خاصة واعتنقها العلماء ولها أدلة وبيان، أذكار ليست فيها شوائب ولا خرافات

وبدع حيث أن أتباعها بشروا بالاسلام في غرب إفريقيا وأوساطها وأدخلوا معظم السودان عن طريق الارشاد والتعليم وبالأخذ والعطاء وبالمصاهرات مع ملوك الزنج، فهم يدعون إلى الاسلام، ويدخلون الأفواج فيه، وصار لهم تأثير شديد في قلوب الناس كما قال القائد الفرنسي (رين) في شأن النهضة الاسلامية الحديثة ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الإسلامية التي لا حد لها، ومنهم الشيخ عمر الفوتي التجاني الذي حارب الاستعمار الأوربي بالعلم والسلاح حتى توفى شهيدا. ومنهم الحاج بن عمر التجاني من حين قام بنشر الاسلام في أكثر من 15 قطرا (1948–1952). وتفرق أتباعها في أنحاء العالم فأسسوا بذلك زوايا تجانية في أوربا وآسيا وأمريكا.لتبقى بدلك الطريقة تنشط، وذلك لتمسكها الكامل بالشريعة والالتزام بحدودها، سهولة الأذكار التي جاء بها المؤسس لهذه الطريقة، وبساطة الممارسة، تعظيمها لجميع الأولياء الأحياء والأموات علمائها، والرد على المنكرين ببراهين الكتاب والسنة، ودعوتها إلى الله ونشر الاسلام و خدمة المجتمع الاسلامي، بما يرجع إليه النفع العام والخاص.الاصلاح بين الناس مع بناء الزوايا لتلقين الدين الصحيح بالتربية الحسنة والتأليف المفيد.ولعل سرعة انتشارها عن بقية الطرق يظهر في إلتحاق أعداد كبيرة من الأفراد من مختلف المستويات الثقافية والإجتماعية ومن مختلف شرائح المجتمع، وهذا لأجل إقتداء وإتباع والعمل بما جاء به شيخ الطريقة، واستمرارها على منهاجه وتطبيق ما جاء به من مفاهيم ومبادئ، وأذكار وأوراد ومعاملات تربط بين التجانيين عبر العالم، وليبقى شيخ الطريقة هو همزة وصل بين التجاني وأخر، لارتباط الطريقة التجانية بالكتاب والسنة والجماعة.

وينقسم هذا الانتشار إلى مرحلتين أساسيتين، الأولى تبدأ بظهور الطريقة وانتشارها في عهد مؤسسها وخلفائه المباشرين ونقصد بذلك الخليفة الحاج علي التماسيني ومحمد الصغير التجاني، خلال الفترة الممتدة ما بين (1782م/1853م) وهي أخصب المرحلتين أما الثانية فهي تمتد ما بين (1853م / 1897م) وهما كمايلي :

ا- المرحلة الأولى :

في عهد المؤسس و خلفائه المباشرين قام فيها الشيخ أحمد بدور بارز حيث قضى مدة أربعة وثلاثين عاما ينشر ويدعوا لطريقته منها سبع عشر سنة في الجزائر والنصف المتبقى قضاه في فاس بالمغرب الأقصى.

ب- المرحلة الثانية :

في عهد أبناء الحاج علي التماسيني وأحفاد الشيخ أحمد التجاني المؤسس.تميزت هذه المرحلة بفتور الطريقة التجانية في الجهة الغربية والشلالة وانتشارها في أعماق الصحراء وتوسعها في الجنوب التونسي، ومرد هذا في نظرنا إلى عدة أسباب، منها التوسع الذي بلغه الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وسياسة الحصار والمراقبة التي ضربت على الأهالي والزوايا بالإضافة إلى عوامل داخلية خاصة بالطريقة التجانية في حد ذاتها[19].

أما أهم أمور الخلافة ومسألة وراثة مشيخة زاوية عين ماضي، فقد أوكلت مهمة إدارة الزاوية للوكيل المشري ريان، في حين إنتقلت الخلافة للطريقة إلى الزاوية بتماسين بعد أن تولى الخلافة محمد العيد بن الحاج علي وهو ثالث خليفة للطريقة التجانية (1852-1876) عرفت زاوية تماسين خلال خلافته استقرارا كبيرا حيث بقيت الطريقة تساهم في نشر تعاليمها في الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب التونسي، في وقت كانت الزاوية التجانية بعين ماضي تسير من قبل الوكيل نظرا لصغر سن ولدي محمد الصغير التجاني أحمد عمار وأخيه البشير، وهما إخوان من الأب فقط. وجعل مسألة الخلافة إلى حد هذه الفترة تسير في إطارها الطبيعي، قبيل وفاة محمد الصغير التجاني عهد بها إلى محمد العيد بن الحاج علي شيخ الزاوية تماسين باعتباره أكبر أبناء الشيخ الحاج التماسين. في حين بقي أحمد عمار يدير زاوية عين ماضي إلى أن تم القبض عليه رفقة أخيه البشير من قبل المقدم "دو صوني De Sonis القائد الأعلى للدائرة العسكرية بالأغواط بتهمة الانضمام والتعاون مع ثوار أولا سيدي الشيخ في 1869م بقي أحمد عمار مدة سنة كاملة تحت الإقامة الجبرية بالعاصمة.بإيعاز من السلطات الفرنسية ثم نقل إلى السجن بباريس. وعند إنتقاله إلى بوردو وهو مسجون تعرف على الآنسة أوريلي بيكار Aurelie Pecard ، إبنة الدركي، فعرضت عليه الزواج، في إطار خطة دبرها المستعمر الفرنسي، وبعد عودتهما إلى الجزائر، رفض الحاكم العام De Guidon السماح بمثل هذا الزواج لما قد يتولد عنه (حسب نظره) من مشاكل وتعقيدات مستقبلية ولكن لم يكن في استطاعة الحاكم العام منع هذا الزواج عن طريق السلطات الدينية، بعد أن باركه الكاردينال "لا فيجري"، مؤسس جماعة الآباء البيض في الجزائر شخصيا، وبعد مراسيم الديانة المسيحية، ثم عقد الزواج طبقا للشريعة الاسلامية على يد مفتي الحنفية بالعاصمة السيد قدور بوقندورة .وبعد رجوعهما إلى عين ماضي توفي محمد العيد الخليفة الأكبر للطريقة عام 1876م، وكان أحمد عمار هو المرشح الطبيعي لخلافته، وتبين أن الخلافة يتولاها بتماسين أخ محمد العيد (محمد الصغير، وهو الشيء الذي خلق نوع من الصراع على الخلافة، لكن تولى محمد الصغير من نسل الحاج علي إلى أن وافته المنية فخلفه محمد بن محمد العيد في زاوية تماسين، حيث قام أحمد عمار بزيارة إلى تماسين وزاوية قمار لإصلاح الوضع وحسم مسألة الخلافة، غير أن تدهور صحته أجبرته على ملازمة الفراش إلى أن توفى سنة 1897م وهو بقمار وحتى وفاة أحمد عمار التجاني بقمار وقع خلاف بين زاويتي تماسين وعين ماضي حول دفن جثمان عمار مما زاد تعميق القطيعة بينهما، فبعد دفنه بزاوية قمار وسرعان ما أعطى شيوخ زاوية عين ماضي تفسيرا مفاده أن شيوخ زاوية تماسين يهدفون من وراء دفن أحد أحفاد الشيخ أحمد التجاني بقمار إلى جعل هذه الزاوية مركز استقطاب للطريقة التجانية من شأنه أن ينافس زاوية عين ماضي من حيث مكانتها كمقر رئيسي للطريقة وما ينجم عنه من خسائر(حسب ما صرح به أحد أحفاد مؤسس الطريقة التجانية ولديه معلومات حولها).

الأمر الذي دفع شيوخ زاوية عين ماضي إلى تعيين البشير شقيق أحمد عمار كخليفة عام للطريقة التجانية وطلبوا منه تحويل رفات أخيه ليدفن في عين ماضي. وعلى الرغم من المنحى الذي أخذه هذا

الصراع، وما سببه من تأثير على الطريقة التجانية برمتها حيث أدى إلى تجزئتها إلى ثلاث فروع : عين ماضي، تماسين، وزاوية فاس بالمغرب الأقصى، هذه الزاوية التي كانت ترمي بثقلها في غرب افريقيا إلا أن سرعان ما تفطن شيوخ زاويتي تماسين وعين ماضي لخطورة الوضع، وقرروا إعادة ترتيب البيت التجاني، ففي عام 1901م قام الخليفة محمد بن محمد العيد بزيارة إلى عين ماضي لتعزية الأسرة التجانية بعد وفاة أحد أبناء أحمد عمار وخلال هذه المناسبة تمت معالجة الخلافات المتراكمة بين الزاويتين، وأصبحت منذ ذلك زاوية تماسين عبارة عن زاوية جهوية تدير كل الزوايا الواقعة في الناحية الشرقية، على أن تهتم عين ماضي بكل الزوايا الواقعة في الناحية الغربية، وإلتزم شيوخ تماسين بدفع جزء من مدا خيل الطريقة إلى زاوية عين ماضي، ولتبقى بذلك زاوية عين ماضي هي "الزاوية الأم" وهذا التفاهم مكن قادة الطريقة التجانية في استرجاع نفوذهم على زاوية فاس وزوايا غرب افريقيا، بل جعل الطريقة التجانية تقاوم الإنقراض والزوال. ويبدوا أن هذا الصراع التاريخي الذي وقع بين الزاويتين بتماسين وزاوية عين ماضي كانت خطة أو مؤامرة مدبرة أو محاكمة للتجانيين وذلك لتفريقهم وبالتالي تتلاشى هذه الطريقة وتموت فهذه الخطة الدنيئة قامت بها السلطات الفرنسية آنذاك .

وبالرغم من الخلافات التي حدثت بين أبناء أحمد التجاني والشيخ الحاج علي التماسيني إلا أن أبناء الحاج علي تماسيني يكنون إحتراما وحبا وتقدير إلى أبناء الشيخ أحمد التجاني وهذا ما لاحظناه عند نزولنا إلى الميدان وإتصال ببعض مبحوثي أبناء الشيخ أحمد التجاني وأبناء الحاج علي التماسيني لتوحيد صفوف التجانيين. عاش الشيخ أحمد التجاني في عصر عرف عدة إضطرابات إجتماعية وسياسية وإقتصادية زعزعت الإستقرار الداخلي وظهرت عوامل الفرقة بين السلطة والأهالي فإنتشر الظلم , وإندلعت الثورات في وجه الحكم العثماني كثورة بن الأحرش في شرق البلاد وثورة الشريف الدرقاوي في غربها وكون هذه الثورات حمل لواءها رجال الطرق الصوفية,فإنّ العثمانيين رصدوا تحركاتهم و ضيّقوا الخناق عليهم, وكان الشيخ التجاني ممن ضيق عليه الخناق حتى أجبر على الهجرة, وكان هذا هو السبب الحقيقي لإنتقاله إلى فاس بالمغرب الأقصى , إنّ هذه الظروف جعلت الشيخ أحمد التجاني بذل جهدا لتجاوزها, حيث إستطاع أن يصمد في وجه السياسة العثمانية وتنقل بين الجزائر والمغرب وتونس ومصر والحجاز من أجل الأخذ على شيوخها إلى أن بلغ درجة من المعرفة الصوفية أهلته لتأسيس طريقة صوفية خاصة به, لقد كانت الحركة التعليمية في عهد الشيخ أحمد التجاني منحصرة في مراحلها الأولى وقائمة على تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتفسير ومبادئ التصوف.

وكان الشيخ هو أحد العلماء المالكيين الذين قرأوا العلم في الجزائر ،ثم بعد ذلك إتبعوا الصوفية وسلكوا طريقهم بعد أن أخذ عن جمهرة من الشيوخ في عصره ،وطوق البلاد وإلتقى بالكثير من العلماء وإلتزم بأذكارهم ودعوا له وبشروه بخير في هذا الشأن[20].

4- وظائف الطريقة التجانية :

إن الطريقة التجانية قامت بوظائف هامة من نشر الإسلام وترسيخ قيمه والتثقيف الديني ونشر تعاليمها ومبادئها لتتعدد وظائفها إلى وظائف إجتماعية ووظائف تربوية في المجتمع من إصلاح ذات البين عملا بالقرآن والسنة والتكافل الإجتماعي من إنفاق المال كالصدقات للفقراء والمحتاجين وكذا إستقبالهم في زواياها لتصير مع الوقت مأوى لهم, وإستقبال الزوار والوافدين لها في كل وقت بالرغم من تعرضها للرفض في عهد الأتراك, لكن بعد هذا العهد إسترجعت نشاطها و إستمرت في القيام بواجباتها اتجاه مريديها وزوارها وكل الأفراد بمختلف شرائح المجتمع وبمختلف المستويات الاجتماعية و الثقافية وتكفلت بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية للتلاميذ المحرومين والذين لم يسعفهم الحظ للإلتحاق بالمدارس النظامية وعلى الذين يذهبون إلى المدارس خصصوا أوقاتا لمتابعة الدروس الفقهية بالزاوية أوفي المدرسة القرآنية التابعة للطريقة, وهذا بالرغم من التهميش و الامبالاة اللذان عانت منهما في الفترة الممتدة بين الستينات و السبعينات من القرن 20م .

أ- الوظائف الإجتماعية :

1 - وظيفة الإصلاح بين الناس:

لم تقتصر الطريقة التجانية على التربية الروحية من إعطاء الأوراد وتحفيظ القرآن الكريم وإنشاء الزوايا والكتاتيب , بل تعدت وظيفتها إلى الوظائف الاجتماعية تهدف من خلالها بناء المجتمع الاسلامي والمتماسك يسوده الاتحاد والتعاون ونبذ التفرقة والتباعد وأكبر دليل على ذلك ماقام به مؤسسها الشيخ سيدي أحمد التجاني قبيل مغادرته الجزائر وهو الصلح بين قبيلتين الأحلاف وأولاد سرغين بمدينة الأغواط وقد عجز كل من هم لإخماد هذا النزاع من صلحاء وحكام , وقد تواصل دور الإصلاح بين الأفراد والجماعات وفك النزاعات من بعده وكذا خلفاء هذه الطريقة من أعلام ومقدمين حكماء فإن لهم أعمالا مشرفة قاموا بها أفرادا وجماعات في مواطن مختلفة من عالمنا الاسلامي الكبير ومن ذلك الصلح بين القبائل المتنافرة في أرياف المغرب الأقصى وماوقع بين السودان ومصر التي تم الصلح فيه على يد الشيخ محمد الحافظ المصري التجاني آنذاك أما في وسط وغرب إفريقيا فحسبك الرحلة العمرية (1948-1952) ومانتج عنها بتوفيق من الله وتأييد منه أصاحبها سيدي بنعمر حفيد الشيخ التجاني إضافة إلى هذا ماقدمته الطريقة التجانية من إعانات ومساعدات للمحتاجين ومن خدمة الطريقة التجانية للمجتمع والإصلاح بين الأفراد والجماعات والدول لقول الله تعالى:" والصلح خير"[21] ،والصلح بين الأفراد لا يمكن تعداده عند المحتاجين لكثرتهم ، هو مهمة كل مؤمن لأنه من شعب الإيمان أما الصلح بين الجماعات فقد ظهرت بين التجانيين في مناسبات متعددة أذكر منها:

الصلح الذي قام به سيدي محمود سليل الشيخ سيدي أحمد التجاني الماضوي عندما علم بوجود خلافات ومنازعات بين قبائل الأرياف بالمغرب الأقصى كادت أن تتحول إلى حرب أهلية, قام بهذه المهمة مدة نصف عام , ولم يرجع إلى وطنه الجزائر إلا بعد أن أجلس المتخاصمين على سرر متقابلين[22]. وشيخ الطريقة التجانية السابق سيدي علي بن سيدي محمود,قام هو الآخر بالصلح بين

موريتانيا والسنغال في الخلافات التي نشبت بينهما منذ بضع سنوات ولاتزال هذه الوظيفة مستمرة ليومنا هذا, خاصة إذا ذهب أحد طرفي النزاع إلى الخليفة العام و تقدم بشكوى يعمل على فك النزاع والإصلاح بين الناس وحتى في حالة نزاع نشب بين الزوج وزوجه يعمل الخليفة العام أوالمقدم على تسوية الخلاف بينهما بنصح الطرفين وهذا قبل الوصول إلى المحكمة , بل يعمل جاهدا على حل المشكل وتراضي كلا الطرفين , أيضا يعمل على إخماد نار الفتنة بين المسلمين بإرشادهم ونصحهم لما فيه الخير للمجتمع الإسلامي وسد الفراغات التي قد تسبب في إحداث القطيعة بين المسلمين ويعمل جاهدا على نزع الفوارق الإجتماعية ونبذ الشر وحب الخير والعمل في سبيل الله.وقد عملت الطريقة بشخصياتها على فك النزاع الخاص بأمور الميراث فالكثير من الأفراد الذين كانت لهم مشاكل في الميراث يلجأون إلى الخليفة العام للطريقة وطرح عليه المشكل وهو بدوره يقوم بزيارة الأفراد المتنازعين على أمر الإرث وذلك لإيجاد الحل في حدود الشرع والقانون وهذا بإستناد للكتاب والسنة ودائما في حالة حدوث نزاع الميراث إذا كانت من عائلات أو المريدين التجانيين يتدخل الخليفة العام لفك هذا النزاع بحكم أنه مسؤول عليهم.

2- مساعدات الطريقة:

تتمثل هذه المساعدات في مساعدة المحتاجين خاصة في الأوقات الصعبة بالانفاق عليهم بأطنان من حبوب و التمور والزيتون وآلاف من رؤوس الأغنام, وغير ذلك من الأفرشة والألبسة, فهذه الأعداد قد تكون خيالية لكن هذا ما كانت تقدمه في السابق , أما حاليا وإن كانت تقدم مساعدات رمزية باعتبارها تعين الفقراء والمحتاجين وهذا دائما من تبرعات الناس والأحباب والأحفاد والزوار و يعود التقليل من مساعداتها إلى اختلال ميزانيتها الذي مس الأفراد وعجزهم المادي.ومما عرفت به الطريقة التجانية ببنائها للزوايا لتقوى الله ولإقامة الصلوات, ولإيواء الغرباء والضيوف والمساكين وإطعام النزلاء.إلا أنّ هذه الوظيفة تكاد تزول في الزاوية التجانية لو لم يعمل أهلها على إحيائها والسبب يرجع لعدم قدرة الزاوية على إستقبال كل الأفراد نظرا لما يتطلبه من تلبية حاجياتهم المادية , ولأنها لا تدخر لإعانة الفقراء حتى أنّ مدخولها قل على ما كان عليه في السابق الا ان الطريقة قامت بمساعدة الشباب المقبلين على الزواج بقدر المستطاع وهذا ما هو موجود بزاوية عين ماضي وزاوية تماسين, فيعمل خليفتهما على تزويج الشباب ومساعدتهم ماديا وإقامة الزفاف يكون جماعيا.

- حتى في حفلات الختان فعند التجانيين يكون حفل ختان الأطفال جماعيا, لمساعدة الطبقة المحرومة ،وحتى الذاهبين لأداء مناسك الحج ساعدهم الخليفة العام, بمساعدتهم ماديا وفي بعض الأحيان تكون الأموال المقدمة لهم بالعملة الصعبة و لو بمبالغ رمزية هذا من أجل تسهيل تأدية هذه الفريضة والذي يكلف الكثير من المال حتى في حال حدوث نكبة طبيعية تقوم الطريقة بمساعدة المنكوبين وتساهم بما تملك على إعادة بناء ما أتلف , وتجمع تبرعات المريدين والأحباب والقادرين ماديا لفائدة هؤلاء المنكوبين.

3- إستقبال الزوار والوافدين للزاوية:

تعمل الطريقة على إستقبال الضيوف والزوار الوافدين من كل منطقة ففي كل مرة كان الخليفة العام أو المقدم في إستقبالهم, حتى ولو كان عددهم قليلا وتحضر لهم أماكن لإقامتهم من أغطية وأفرشة إضافة إلى حسن الضيافة, وفي السابق كان استقبالهم في الزاوية أين كانت تسكن العائلة التجانية. لكن مع التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع وأصبح كل رب عائلة يسكن مع عائلته في بيت خاص به وهذا ما لاحظناه عند نزولنا للميدان و التقرب من المبحوثين خاصة الأحفاد. وحاليا يقومون باستقبال الزوار في بيوت تتوفر على المرافق الضرورية وتهيئ لهم كل الظروف الملائمة لمدة زيارتهم وإقامتهم وهنا يبرز دور المرأة بحيث تقوم مجموعة من النساء بتحضير الطعام والأفرشة وكلها من صنع نساء الزاوية والمعروف عنهن نسج الزرابي والأغطية فهي حرفتهن ويتبرعن سنويا ببعض من الزرابي لفائدة الزاوية, ففي كل مرة يجتمع الزوار في الزاوية فلاحظنا إجتماع النساء في بيوتهن لتحضير مختلف الأطعمة لضيوف الوافدين إلى الزاوية سنويا.وبالرغم من الظروف الاقتصادية والمادية التي تغيرت من حيث إرتفاع أسعار المواد الغذائية بصفة عامة إلا أن أهل الزاوية لازالوا على سيرتهم وعاداتهم وتقاليدهم, فإذا حل عندهم ضيفا في أي وقت يستقبل أحسن إستقبال ويقيم عند أحد أحفاد مؤسس هذه الطريقة, ويكرّم طيلة أيام إقامته وزياراته .وفي السابق كان الضيف يقصد الزاوية والآن وبعد تفرع أفراد العائلة التجانية حيث لكل حفيد تجاني له بيته الخاص, و مسؤولياته تزيد من يوم لآخر, أصبح إستقبال الضيوف في بيوتهم أما إذا كان الضيف أو الزائر قاصدا الخليفة العام للزاوية والطريقة "سيدي عبد الجبار" فيتوجه إلى بيته والمعروف عند التجانيين "بزاوية أمحاط السلطان" على بعد كيلومترين على عين ماضي, فهذه الزاوية عبارة عن بيت كبير يتسع لعدد كبير من الضيوف, وعليه يمكنهم الإقامة هناك وتبقى بذلك الزاوية حاليا "مسجد المسلمين" وكذلك محلا للزيارات القصيرة ويرجع أيضا سبب توزع أحفاد سيدي أحمد التجاني عدم اتساع الزاوية و أفراد العائلة التجانية زاد عددهم وأصبحت الزاوية بمساحتها المحدودة لاتكفيهم فاضطروا بذلك إلى الخروج منها مستقرين في بيوت خاصة بهم, لكن هذه البيوت قريبة من حيث المسافة, و الملاحظ أن أغلبية التجانيين الساكنين بعين ماضي جيران,ونفس الشيء بتماسين و قمار حتى وإن إبتعدت عائلة تجانية عن الأخرى لسبب إقتصادي والمتمثل في العمل الذي يقوم به الأب كأن يكون معلما في مدرسة,أو ثانوية , أوطبيبا في مستشفى بعيد يضطر بذلك إلى الإبتعاد أيضا يوجد بعض التجانيين موزعين عبر مناطق الوطن لذا لزم عليهم التنقل والابتعاد عن بقية التجانيين فظروف ونوعية العمل قد تبعدهم عن بعض لكن لايمنع هذا من أن للتجانيين أوقات للإلتقاء خاصة أيام العطل والمناسبات الدينية وهذا من أجل توطيد الروابط الدموية ولتفادي فتور العلاقات بين العائلات والتي تؤدي بذلك إلى انقطاع العلاقات الاجتماعية والتي تعمل الطريقة جاهدة من أجل نزعها وتعمل على التواصل وإحياء الروابط الدموية والعائلية والاجتماعية بين التجانيين ومختلف شرائح المجتمع. والمغزى من هذه الزيارات هو الاتصال والاستفادة والاطلاع والتعلم والزيادة في كل شيء والاحتفاظ على الروابط الأخوية وإستمرارها وهناك زيارات يقوم بها أتباع الطريقة إلى مقر الزاوية التجانية الكبرى "بعين ماضي"

من مختلف البلدان من داخل الوطن أومن خارجه, وذلك قصد التبرك وتوطيد وتوثيق الروابط مع أهل الطريقة والزاوية الأم.وكمثال على هذا فقد ألمت عين ماضي في ربيع عام 1984 عشرات المئات الوافدين من شتى أصقاع العالم في إطار فعاليات الملتقى الإفريقي وقصد منه توحيد الصف وفرصة الإلتقاء وللتقارب بين الأتباع والمقدم والخليفة العام وتحديد الروابط الأخوية تجمع الخليفة العام ليعطيهم الأوامر حسب متطلبات العصر والاصلاح بينهم ونهيهم على فعل الشر وتشجيعهم على فعل الخير وحتى هناك أمور خاصة يتشارون فيها مع الخليفة العام.

ب- الوظائف التربوية:

تقوم الطريقة التجانية بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم والذكر واللغة العربية و التربية والتعليم ، فهذه الوظيفة التربوية لاتزال قائمة الى يومنا هذا. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:" وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة, ومبادئ اللغة العربية بين البربر , وبذلك تم إسلام البربر, وأصبحت لغتهم العربية...وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في قيروان , وفي المغرب كله , أمثال أسد بن الفرات... ولم تكن حلقات العلم الكثيرة في مساجد القيروان مما يشبع فهم طلاب العلم فكانت الرحلة في طلب العلم"[23].

ويقول أحمد توفيق المدني:" كان التعليم العربي الحر في الجزائر يشمل قديما ثلاث مراتب:أولي, ويعطى في الكتاتيب ويقبل الناس عليه إقبالا شديدا فلا تجد حارة من حارات المدن والقرى أو مضربا من مضارب الخيام أودشرة إلا ولها الكتاب والطالب وكان التعليم بها بسيطا جدا يشمل القراءة والكتابة والقرآن الشريف.وبفضل تلك الكتاتيب البسيطة كانت الأمية قليلة الانتشار بالقطر الجزائري, أما التعليم الثانوي والعالي فكانا بالمساجد والزوايا يتولاها شيوخ من المشهود بهم بالعلم والدراية والنزاهة فكانت الدروس الاسلامية العربية توجد في أغلب المساجد والزوايا .

والطريقة التجانية بنت زواياها لأجل تعلم الأطفال وتنويرهم, فكان التدريس في السابق موجود بالزوايا. وجملة المكلفين بتحفيظ القرآن وتدريسه, هم معلمي القرآن والمتخرجين من الزوايا والمدارس العلمية للطريقة المنتشرة على كامل التراب الوطني, أما في الخارج فهم ليسوا بمعلمي قرآن فحسب بل علماء وفقهاء من خريجي الجامعات والمعاهد الاسلامية كجامعة "كولخ" بالسنغال وجامع "القرويين" بالمغرب الأقصى و"الأزهر الشريف" بمصر.

1-إحياء الطريقة للمناسبات الدينية:

إن للمناسبات الدينية إحتفالا خاصا لدى الطريقة وأتباعها فهي مناسبة تتجلى فيها روح التآزر والتضامن والتذاكر مثل هذه المناسبات كما تحيي بتلاوة القرآن الكريم, والذكر وبعض الدروس الوعظية وبالمدائح الدينية وتواشيح من شأنها إضفاء طابع خاص للمناسبة لدى هذه الطائفة وفرصة لإلتقاء المريدين والأتباع مع الخليفة العام. والإحتفال بالأعياد الدينية عيد للجماعة من شأنه أن يوقظ الوعي بالروابط التي بين الأفراد والمكونة لهذه الجماعة إذ لا تحتفل جماعة ما بعيد من الأعياد إلا الذكريات

تعيد لها صورة نصر أو المجد وقع في الأيام التي تحتفل بها وعلى سبيل المثال: نرى أن كل الأعياد التي تحتفل بها تصورا مجدا أو نصرا والطريقة التجانية كبقية الطرق الصوفية تحيى المناسبات الدينية لكن لها طابعها الخاص في ذلك.وكمثال أخذنا مناسبة "المولد النبوي الشريف" لاحظنا أن له صبغة خاصة بالزاوية التجانية حيث أنها تحيا بإلقاء قصيدة خاصة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم والتي ألفها الجد الرابع للطريقة وهو"يحيى بن سالم" ليقوم شبان الزاوية بالطوف بالقرية فيقرأون قصيدة أخرى وهي عبارة عن البردة وهي مناسبة رأى فيها الإمام البصري النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وضع على بردته وعند إستيقاضه من منامه وكان حينها مريضا شفي فألف بعدها قصيدة وأسماها "بردة المديح" وذلك بداية من الليلة الأولى من شهر ربيع الأول إلى الليلة السابعة من نفس الشهر إلى غاية الليلة الثانية عشر حيث تسود السيرة النبوية بقراءة جزء من البردة وجزءا من الهمزية وهي قصيدة لمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء .

أمّا في ليلة المولد فإن سكان عين ماضي يجتمعون بمسجد الزاوية لإحياء هذه المناسبة بقراءة القرآن الكريم إلى غاية صبيحة المولد النبوي.وفي صباح يوم الثاني عشر من ربيع الأول فيتمون المدائح التي بقيت والتي جمعت في الليل ولم يسمح الوقت للسماع إليها وربما يتطلب ذلك إلى ساعة متأخرة من الليل.وفي الصباح عندما تحين صلاة النافلة بإرتفاع الشمس مقدار 12 شبر يجتمعون للصلاة, وبعدها يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم بمدحه وذكر مناقبه, وفي الأعياد الدينية: فهم كبقية المسلمين يقيمون صلاة العيد وعند إنتهاء منها مباشرة لاحظنا التجانيين يتصافحون ويتسامحون مع بعضهم البعض, والكل يهنىء الآخر , يتبادل الزيارات, ولازالوا يتمسكون بهذه العادات، أيضا لاحظنا مشاركة المرأة في هذه المناسبات الدينية والأعياد الدينية في تحضير مختلف الأكلات الشعبية المعروفة في هذه المنطقة .

وفي ليلة المولد يجتمعن النساء في الزوايا أو ماهو معروف عند التجانيين أنها ديار أحفاد المؤسس يمدحن النبي و ذكر سيرته , ففي السابق كان منزل واحد يكفي لكل النساء لأن إزدادت القرية في التوسع فيتوزعن في منازل كبار أحفاد الشيخ المؤسس. وتكون هذه المناسبات الدينية مناسبة لإخراج الصدقات أو"المعروف" كما هو معروفا في منطقة عين ماضي (حسب تصريح أحد الأحفاد).

أما عن شهر رمضان فهو الشهر الذي أنزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتاب الدعوة إلى الإيمان بالله وكتاب هدى للناس كافة, كتاب الصراط المستقيم سلوك الناس في حياتهم وعلاقتهم ببعضهم البعض فعند قدوم هذا الشهر من كل عام فالطريقة فهي مناسبة قدم معها الذكرى بنزول القرآن الكريم وعلى عظمة الشهر يستقبله أهل الطريقة بعين ماضي, وتماسين, وابن سمغون وقمار...وغيرها من المدن تواجد التجانيين بتنظيف الأحياء وتزين وتقام صلوات التراويح وتصبح الحركة نشيطة على غير العادة وفي هذا الشهر فيه ليلة عظيمة وشريفة هي "ليلة القدر" فهي تلك الليلة التي تقام بها الصلاة إلى غاية طلوع الفجر و حتى يأتي عيد الفطر.

مناسبة عيد الفطر فيحتفل بها على جهاد النفس بالصوم وقيام الصلاة وهي مناسبة لإحتفال بقوة العزيمة والتصميم التي يمكن الإنسان الصائم من التغلب على نوازع الشهوة والهوة, في نفسه طوال شهر الصوم, فيستقبل نهار العيد في الزاوية بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير بعد صلاة الفجر إلى غاية صلاة العيد, حيث يجتمع المسلمين التجانيين والغير التجانيين في مكان واحد لأداء الصلاة , وبعدها يتبادل المصلين التهاني.أما مناسبة عيد الأضحى فتستقبل بالتهليل والتكبير والتسبيح من فجر اليوم إلى غاية صلاة العيد, وكل عائلة في استطاعتها شراء أضحية العيد لتدخل الفرحة والبهجة للفقراء والمحتاجين. وتعمل الأمهات بطلي الحنّة للأطفال عشية العيد, وبعد صلاة العيد تتبادل الزيارات بين التجانيين وكل المسلمين.ولتكون هذه المناسبات الدينية فرصة لتذكر المحتاجين والفقراء من سائر المسلمين وذلك بمساعدتهم ماديا.وتكون أيضا مناسبة لإلتقاء المريدين مع بعضهم البعض وكذا إلتقاء المريدين بالخليفة العام والمقدمين , لتكون مناسبة لإعادة النظر في بعض الأمور الخاصة بالطريقة , وبعض الأمور التنظيمية وإعادة النظر في البرامج المسطرة والتي يسير عليها الأتباع من التجانيين. ومناسبة لإحياء العلاقات الإجتماعية والتي تعمل الطريقة على الحفاظ عليها قدر الإمكان حتى أن الوافدين في هذه المناسبات إلى الزاوية إنهم بأعداد كبيرة.

2- المناسبات الخاصة بالطريقة:

تحتفل هذه الطريقة بمناسبات خاصة بها, وكل مناسبة تكون مقرونة بموسم خاص بها فلديهم:

-مناسبة الفتح الأكبر: (أو ما هو معروف لدى التجانيين بيوم الدركة) وهي رؤية الشيخ أحمد التجاني مؤسس هذه الطريقة للرسول صلى الله عليه وسلم بأبي سمغون بجبل تبادى بمنطقة الجنوب الغربي بولاية البيض(حسب ما صرح به أحد الأحفاد). و هذه المناسبة يحتفل بها في الزاوية الأم"بعين ماضي وذلك في الثامن عشر من شهر صفر من كل سنة, حيث يتوافد التجانيين من الداخل ومن خارج الوطن وكذا الأتباع والأحباب لإحياء هذه المناسبة. ويتم ذلك بإلتقاء الوافدين و إقامة حفل ديني داخل مسجد الزاوية رفقة أحفاد "الشيخ" ولديهم قصائد خاصة بهذه المناسبة, وتكون أيضا هذه المناسبة لإلتقاء التجانيين مع الخليفة العام والمقدمين و فرصة للتشاور والتحاور .

3- إقامة الصدقات السنوية:

يقوم بها الزوار والمحبين والأتباع الطريقة وذلك بطرق إحتفال مختلفة على حسب الأفراد ومستوياتهم التعليمية والإجتماعية والاقتصادية فهناك فئة:تقوم بإحياء الحفلات الدينية داخل الزاوية بتلاوة القرآن الكريم والذكر والمدائح النبوية,وكذا بتقديم مدائح تذكر فيها مناقب"الشيخ الصالح" وهناك فئة أخرى من المجتمع,تقيم هذه المناسبات بالزاوية بذبح الغنم أو المعز حسب القدرة الشرائية للزوار وكذا بتحضير مختلف الأكلات الشعبية,وكذا إقامة حفلات غنائية يقتصر على القصائد الخاصة بمؤسس الطريقة بمدحه وتمجيده ويستغرق ذلك ليلة كاملة حتى الصباح.

في حين النساء يحضرن الأكل,وكذا تحضير أنواع الحلويات التقليدية,والخاصة بمنطقة الجنوب الجزائري والملاحظ أن عند الإقامة بالصدقات السنوية,يلتقي معظم شرائح المجتمع في مكان واحد,ليخلق بذلك نوع من المساواة بين كل الأفراد القادمين للزاوية، وأصبحت تقتصر على ذبح الغنم وتوزيعه و تكون في سبيل الله لا غير,و هي بمثابة عادة اجتماعية الغرض منها التكافل الإجتماعي و لتذكر الفقراء والمحتاجين,والطالبين للنصح والإرشاد والمعرفة.

ورغم دورها التاريخي والديني إلا أن التغيرات الإجتماعية و السياسية التي طرأت على مجتمعنا قصلت من أدوارها ووظائفها ، فبدل من أن تترك هكذا لتختفي وتموت ينبغي دعمها وإدخال إصلاحات جذرية على أساليبها التعليمية وتجنيدها للعمل كما كانت ولدعم المسيرة الثقافية التي يخوضها المجتمع ، وعليه فلابد للطريقة أن تواكب العصر, وتشارك في محو الأمية ومحاربة الآفات الاجتماعية وذلك بإدخال التجديد على برامجها التربوية حتى أن إنتشار الدروشة والخرافات والأباطيل بين بعض أتباعها يعود لضيق أفقهم الفكري فعليها أن تحارب مثل هذه المظاهر التي تعيق مسيرتها الدينية و الاجتماعية.

خاتمة :

إن هذه الطريقة أدت أكثر من دور ووظيفة خاصة حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وبناء الزوايا, وإتباع ما جاء في الكتاب والسنة, وتطبيق ما جاء به المؤسس من تعاليم ومبادئ ونصائح وإرشادات للناس, وتطبيق شروطها لمن أراد أن يكون مريدا تجانيا, وبالرغم من مرحلة الإضطرابات التي شهدتها وهذا منذ ظهورها عرفت رفضا من الحكم العثماني الذي ظل يحارب كل الطرق الصوفية بما فيها هذه الطريقة لكنها إستطاعت أن تجمع عدد كبير من المريدين سواء في الجزائر أو في خارجها حيث لقت صدا كبيرا في بلدان غرب افريقيا, والمغرب الأقصى ومصر في فترة الاستعمار بعد الاستقلال أيام تولي الرئيس الراحل الهواري بومدين الحكم , عرفت نوعا من التهميش واللامبالاة إلى غاية بداية الثمانينات من القرن 20 م إستعادت نشاطها وأصبح لها مكانة إجتماعية عند مريديها وأحبابها, أما في نهاية الثمانينات إلى غاية التسعينات من القرن 20 م عرفت الجزائر مرحلة عدم الاستقرار وحالة اللأمن وتقلبات اجتماعية و أخرى وسياسية التي اجتاحت كل المؤسسات الاجتماعية حيث عرفت هذه الطريقة حالة من الفتور و الركود اللذان شل نشاطاتها وعرقل أداء مهامها اتجاه مريديها بصفة خاصة وكل الأفراد بصفة عامة ومنذ ظهورها إلى حد الآن شهدت مراحل من النشاط و التراجع فبالرغم من كل الظروف التي تعرضت لها إلا أن شيوخها و مريديها تمسكوا بتعاليمها والعمل بها, واعادة بعثها وتفعيلها و ترسيخ القيم الروحية .

*** قائمة المراجع:**

1. عبد الرحمان طالب : الشيخ سيدي أحمد التجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 2001، ص6.
2. علي حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الجلبي، مصر، ، 1963 ص 29.
3. محمد رؤوف القاسمي : تعريف الخلف برجال السلف، ج1 مؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1991، ص 283.
4. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في التاريخ الجزائر (بداية الاحتلال) ش، و،ن،ت، الجزائر ، ط3 ، 1982.ص517.
5. علي حرازم ، جواهر المعاني وبلوغ الآماني، مطبعة مصطفى البابي الجيلي وأولاده ،مصر ،ط الأخيرة ، 1963، ص 28.
6. نفس المرجع ، ص175.
7. ناصر مجاهد : سبل العبور بجبل العمور، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1993، ص130.
8. بن يوسف تلمساني :الطريقة التجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر,رسالة ماجستير ، معهد التاريخ الجزائر 1998 ص 58.
9. يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري دار العربية للكتاب تونس، ط2 ،1983 ص16.
10. أبو القاسم سعد الله ،نفس المرجع سابق 1982 ص150
11. المرجع السابق ص439.
12. محمد الحافظ التجاني: الإفادة الأحمدية لمزيد السعادة الأبدية ,دار الكتاب ،القاهرة،ط2 ،1391هـ، 1971 ،ص87.
13. علي بن محمد آل دخيل، التجانية، دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة ، دار العاصمة، الرياض، ط2، 1998.ص42.
14. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج4 دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط6، 1983 ص51.
15. أحمد سكيرج : كشف الحجاب ، المكتبة الشعبنة ، بيروت ، ط الأخيرة ، 1988. ص20
16. أحمد سكيرج: تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له صحيح طول الزمان، مطبعة النهضة، عدد 11، تونس، 1921، ص41.
17. نفس المرجع ، ص129.
18. يحيى بو عزيز : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ط2، 1996، ص349.
19. بن يوسف تلمساني : نفس المرجع، ص94.
20. محمد حافظ التجاني :"مقال حول الطريقة التجانية"،مجلة طريق الحق، العدد الأول، مارس 1972 ،ص 15.
21. سورة النساء الآية 128. القرآن الكريم.
22. طالب عبد الرحمان: المقال السابق ص 19.
23. طالب عبد الرحمان : الكتاتيب القرآنية نبدرومة من 1900 إلى1977 –د، م، ج ،الجزائر – 1983 , ص 14.
24. نفس المرجع ،ص 22.
25. تركي رابح، نقلا عن طالب عبد الرحمن، المرجع السابق ص44.